القصة الثالثة عشرة ـ ناج وليس ضحية

زينب الأسدي

ربما كانت الحرب جائعة –من يدري– فَراقَ لها تذوّق ساقٍ ناعمة.

لا، لعله حادث سير أو إعاقة ولادية.

على كل حال وبطريقة ما؛ فقد «أحمد» ساقه اليمنى. حتماً الأمر ليس جيداً ولا سيئاً حتى!

ففي تلك الزاوية المجاورة للنافذة تحديداً، ينزوي كعادتهِ، يطيل النظر إلى الأمام [يبدو أنه يتطقس العالم من ثقب مفتاح الباب]

ويبتدئ بتفحص من أطرافه النحيفة الثلاثة واحدة واحدة، كمن يتَفَقد نقوداً أُودِعَت لديه كأمانة!

طكطك

يكرر العد، ولكن هذه المرة من حيث انتهى في المرة الأولى:

واحدة...

اثنتان...

ثلـ...

«هدددددف»، «هدددددف» !

يلتقط عكازيه بعشوائية على غير مهل، ويقفْ متكئاً على النافذة.

_يا إلهي!

_الجميع بساقين اثنتين، وأنا بثلاث!

_لم عليَّ أن أعاني الإعاقة إذن؟!

_لمَ عليَّ أن أُشبه الجميع؟

_لماذا لا أدعهم يشبهونني؟

بدا لوهلة كفراشة رُسِمت على ورق؛ لها جناحان ولا تقوى على التحليق!
يضع يديه على جانبي رأسه، يمسك بطرفي ذاكرته بغضب. يرجها بقوة ، يقلبها على عقب كصندوق مليء بالخرداوات؛ كمن "يبحث عن إبرة في كومة قش" ، ويصرخ:

_هل كان أبي يلعب الشطرنج حين سرق اللص ساقي؟!

_أنا لم أعثر على عويل أمي حتى! أكان الأمر عادياً إلى هذا الحد؟!

يرخي جسده المثقل على عكازيه، يلصق ظهره إلى الحائط، ويبادرُ لترتيبِ شعره المنكوش بأطرافِ أصابعه، كطفل يعيد ترميم دميته -التي خلع أطرافها حين كان غاضباً من أمه؛ فقط لأنها رفضت إعطاءه المزيد من الحلوى لأنه مصابٌ بالسكري- يضع كل قطعة في مكانها المحدد بعناية تامة.

بعد أن أخفق بتذكر أي شيء! أي شيء!

يُقلب ذكرياته المترسبة، على نار هادئة، يكشف عن أسنانه بنصف ابتسامة:

_كل شيء كان بارداً. سوى حضن العم «رضا» وهو يشد أضلعي إلى صدره حين جاء بي من الميتم.

كان دافئاً بدفء قلب الربيع. دافئاً بما يكفي ليذيب الصقيع من أطراف أصابعي.

أجلسني إلى جانبه، ووضع يديه على مقود العربة.

_«أحمد» هذا هو اسمك، صحيح؟

تفحصت وجهه الذي تعرجت به خطوط سريالية، ببشرة قمحية، وعينين خضراوين ،شعر مخملي فحمي تزاحمه تلك الخصلات الفضية اللامعة[الدليل ليس الحصري بل الرائج لتقدم العمر].

_ما بك؟ أنسيت اسمك يا فتى؟

_ها ! لاااا .. أجل .. أجل .. هذا هو اسمي.

_تك،تك،تك.. يقاطعه رنين الساعة الثانية عشرة تماماً.

يعيد ضبط عقارب عينيه على النافذة.

هناك عبر سياجٍ شائك مرمى نُصِب بلا شباك،

ولأن البلد يمر بحالة من التقشف الاقتصادي

للسنة الرابعة على التوالي فالأرضية كَسَاها الغبار بدلاً عن العشب! ،

وصبية كل منهم بساقين -كأقطاب المغناطيس- يتلاقطون المستديرة...

دَبَّ الحماسُ في دمه، تزاحمت ملامحه في نقطة واحدة من وجهه؛ بدا وكأنه الجمهور بأكمله !

ترك النافذة على عجل. بدا جلياً أن الأفكار أخذت تنقر راسه كما ينقر "الفرخ قشرة البيضة التي تحول بينه وبين الحياة"

الفكرة تكبر و «أحمد» يندفع إلى خارج الغرفة، بل وخارج نفسه...

الرؤى تتشكل في رأسه بصورة ضبابية، ينطلق بسيقانه الثلاثة: مهرولاً، مقتحماً، مراوغاً !

لتنضج أفكاره بملامحٍ من هنا وهناك...

«هدددددددددف» »

*****